اثر العولمة في عمارة المدينة

تحليل لفعل العولمة في صورة العمارة العربية الإسلامية في الألفية الثالثة

د. رافد عبد اللطيف عبد القادر

د. إبراهيم جواد كاظم

بسمة أسامة محمد علي

ملخص:

أن البحث يطرح احد ابرز الاتجاهات أثرا" في العمارة العربية الإسلامية في وقتنا المعاصر وهي العولمة.
أن العولمة من حيث رؤيتها للعالم كقرية صغيرة تنكر الفوارق بين الأقاليم وبطبيعة الحال فان ذلك له انعكاسات في النشاطات الإنسانية وفي مستوياتها المختلفة / الفكر ، المفاهيم ، المنهج ، ثم في صور النشاط الإنساني باختلاف طبيعته من سياسة ، إدارة ، فنون ومنها العمارة.

ولبيان ذلك فأن البحث سيعتمد على منهجية ارتبطت بطرح:

- أهم ما ورد في الأدبيات التي تشخص العولمة، ودورها في بناء الصورة.
- استعراض الأدبيات المرتبطة بنظرية المعرفة الإسلامية المتعلقة بطبيعة علاقة الفكر بالصورة كآلية في تحديد طبيعة التحول من الفكر إلى الصورة
- المقارنة والوصف وفق قاعدة التلازم والتقابل في تحديد الخصائص الرئيسية للعولمة وطبيعة تحول تلك الخصائص إلى صور تنعكس في ظاهرة العمارة
- وبالتالي تحديد تأثيراتها في صورة العمارة العربية الإسلامية

ABSTRACT

The research is concerned with Globalization as one of the effective contemporary philosophies by presenting its core of thoughts as presented by literatures which describes it attitudes and methodologies, from that end, figuring out its impact on picturesque of the Islamic architecture identity in Arab countries is carried out through raising the comparison with the epistemology in Islam philosophy and the mechanism of transformation of thoughts into picturesque issues which leads on highlighting the exact differences between the two schools of thoughts that by default will shows

clearly the bases of Globalization and its impacts on changing bases of the picturesque of the Islamic Architecture in Arab countries through time accordingly.

المقدمة

أن العمارة كظاهرة إنسانية تتشكل صورتها من خلال نظام طبيعة الفكر لذا فإن ما تحمله الصورة يعكس تماماً طبيعة وطريقة التفكير في إنتاج هذه الصورة ، والمداومة على التفاعل مع صورة بأشكال معينة تعكس فكراً محدداً سيؤدي وبطبيعة الحال إلى التطبع بمفردات ذلك الفكر ، لذا فأن تحديد توجه فكري في إنتاج حركة معمارية سيجعل من الممكن أن تكون تلك الحركة مؤثرة حيث يكون لصورها تأثير في تطبع المتلقي لطبيعة الأصول الفكرية المكونة لهذه الصور ومع تقادم الزمن سيساعد ذلك في ترسيخ طبيعة تلك الأصول الفكرية . ما تقدم يعني بأن تحديد صورة لعمارة من خلال تبني فكر يرتبط بأصول حضارتنا سينتج صورة لعمارة لها هوية محددة من خلال إدراك خصائص العلاقة لعناصر ذلك الفكر المرتبط بحضارتنا دون آثار فكرية أخرى قد ترتبط بها العمارة والتي تكون بعيدة عن طبيعة الفكر الذي يمثل مجتمعنا وبيئتنا الفكرية والاجتماعية . وعليه يبرز مما تقدم أهمية الدراسة والتوسع في تحديد آلية أنتاج صور العمارة وفق الفكر المرتبط بمجتمعنا من جهة وفي تحديد الآثار الفكرية الدخيلة وانعكاساتها في أنتاج صورة الهوية المعمارية العربية من جهة أخرى . أن من أشد التيارات الفكرية أثرا" في هوية العمارة العربية في وقتنا المعاصر هو العولمة من حيث رؤيتها للعالم كقرية صغيرة لتنكر بذلك الفوارق بين الأقاليم من حيث الفكر والتقاليد والعادات ، وقد بدأت بوادر العولمة وانعكاساتها تظهر في صور الأدب والشعر في الوقت الذي تعاني فيه الدراسات والأبحاث من نقص يرتبط بتأثيرات ذلك الفكر في صور الفنون ومنها العمارة مع تنامي النقص في الفكر العربي والثقافة العربية التي تمثل القياس الذي يمكن الركون إليه في مجتمعنا لتحديد أثر تداخلات مثل هذه الاتجاهات الفكرية .

ومما تقدم تحددت مشكلة البحث. **مشكلة البحث في** تنامي الحاجة إلى معرفة ما يمكن أن تحدثه تأثيرات العولمة في خصائص صورة العمارة العربية الإسلامية

وبذلك فأن البحث سوف **يهدف** إلى تحديد تأثيرات العولمة وانعكاس ذلك في صورة العمارة العربية الإسلامية ، حيث أن البحث سيعتمد استعراض أهم ما ورد في الأدبيات التي تشخص العولمة واعتماد الأدبيات المرتبطة بنظرية المعرفة الإسلامية المتعلقة بطبيعة علاقة الفكر بالصورة كآلية في تحديد طبيعة التحول من الفكر إلى الصورة ومن ثم اعتماد المقارنة والوصف وفق قاعدة التلازم والتقابل في تحديد الخصائص الرئيسية للعولمة وطبيعة تحول تلك الخصائص إلى صور تنعكس في ظاهرة العمارة وبالتالي معرفة تأثيراتها.

1. التحليل الفلسفي للعولمة :

1.1. فكر العولمة:

أن العولمة تمثل شكل جديد من أشكال السيطرة والهيمنة الى درجة أن كلمة استعمار تلازمها كظلها فصارت تعرّف بـ " **استعمار الصورة** " . وبذلك تنتقل من ظاهرة " **حضارة الكتاب** " المرتبطة **بالتفكر** (1 [1]) من خلال الكلمة الى ظاهرة " **حضارة المشاهدة** " وهي الظاهرة التي جعلت من وسائل المشاهدة كالتلفزيون وشبكات الإنترنت والقنوات الفضائية وغيرها منبعا أساسيا للمعرفة، وبذا ان التحول الى الحضارة وثقافة الصورة يعني تحول العمارة الى عمارة الصورة أي حالة صورية تخضع لمقتضيات تكوين الصورة وإحداثياتها لغرض بثها إعلاميا عن طريق وسائل الإعلام المرئي التي تعتمد الأسلوب الإعلاني التجاري في إيصال الصورة(وحيد، ص 60)

[1](1) **التفكر** : هو سير الباطن من **المبادئ** الى **المقاصد** والمبادئ هي آيات الآفاق والأنفس والمقصد هو الوصول الى المعرفة .

(النراقي ج1 ص200) لذا ورد عليه الحث والمدح في الآيات والأخبار كقوله سبحانه :

" أولم **يتفكروا** في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق **" الروم الآية : 8**

" لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثل نضربها للناس لعلهم **يتفكرون "** الحشر : 21

والمقصود بالتفكر أجراء عملية عقلية في المعلومات الحاضرة (والتي تعرف بالمبادئ) لأجل الوصول الى المطلوب والمطلوب هو العلم بالمجهول الغائب وبتعبير آخر أدق أن التفكر هو :
" حركة العقل بين المعلوم والمجهول " **(المظفر ج1 ص23)** والمبادئ وهي مقدمات مستغنية بنفسها عن البيان للوصول الى المطلوب . وبحسب اختلاف المبادئ وبحسب ما تؤدي اليه من نتائج (مطالب) وبحسب أغراض تأليفها تنقسم صور المطالب الى البرهان والجدل والتخاطب والشعرية والمغالطة **(المظفر ج3 ص 292) .**

ان المعرفة التي يمتلكها المشاهد هي المعرفة مبسطة يدون أن يبذل أي جهد نقدي ودون أن يعبأ بخلفيات أو بأبعاد الأحداث التي يشاهدها فحتى زمن قصير مضى لم يكن الأعلام يكتفي بتصوير الحدث فحسب بل كان يشرحه ويبين خلفياته وبذلك فقد صار الإنسان **شاهدا** على الحدث **وتابعا له** ليس إلا . وهكذا برز الوهم الخادع بأن " **المشاهدة** " تعني الفهم والإدراك ولقد أدى ذلك الى طغيان الصورة الذي يسعى للهيمنة على حقل الثقافة موظفا في ذلك أيديولوجيا الى تنميط العادات والثقافات وطرائق العيش على نمط واحد، هو نمط الثقافة الاستهلاكية الذي تدعمه دول ومؤسسات رأسمالية بوسائلها المتقدمة علميا وتكنولوجياً لتشيع خطابا يعتبر أن التأريخ قد انتهى وأن حاجة الإنسان الى التفكر قد أنتفت وما على الإنسان إلا أن يتكيف باعتبار أن الوضع القائم هو سقف التطلع الإنساني وأنه لم يعد هنالك من خيار ثقافي أو اجتماعي سوى خيار الأيديولوجية القائمة (**الشريف ص3**) . أما شكل العولمة بمظهرها الحالي فهو يعكس التقدم الكبير الذي بلغته صيرورة توحيد العالم فبفضل ثورة الاتصالات تغيرت حيلة الإنسان **بالمكان** بصورة جوهرية وبات العالم يفرض نفسه كوحدة تحليل رئيسة لفهم وأدراك الأحداث . كما طرأ تحول جذري على مفهوم **الزمن** الذي لم يصبح عالميا فحسب بل أصبح قصيرا جدا يمحو المسافات والحدود الجغرافية من خلال هيمنة الصورة وضعف قيمة الكلمة نتيجة تأخرها عن مواكبة الحدث (**الشريف ص4**) .

وهذا يعني بأن فكر العولمة يختلف عن الفلسفة العربية الإسلامية ليس في الموضوع فحسب وإنما في المنهج أيضا ذلك أن وسيلة البحث لدى الفلسفة العربية تعتمد التأمل العقلي (**التفكر**) وذلك لأن هدفها الوصول الى مبدأ كلي موحد يفسر العالم فاستنتجوا الخاص من المبدأ العام والكل . أما العولمة ووفق ما تقدم فأنهم لم يحاولوا النفاذ الى العلل الأولى للأشياء وجعلوا نقطة البداية في بحوثهم التجربة والحس لذلك سعوا نحو تجميع أكبر قدر من المعرفة في مختلف ميادين الحياة عن طرق ووسائل الأعلام باختلاف أنواعها مستفيدة من التطور التكنولوجي الهائل من انترنت وقنوات فضائية وأخرى وعلى هذا فأن منهج العولمة يعد منهجا استقرائيا عمليا يختلف عن منهج الفلاسفة العرب الذين يهدفون الى البحث عن المعرفة لذاتها . ونتيجة لما تقدم عن العولمة نجد بأن العولمة جاءت لكي تضع المعرفة على مستوى الحس وتضع الحق والأعراف واللغة والدين على مستوى التعاقد الاجتماعي وصناعة الإنسان مختلفة في موضوع فلسفتها عن الطبيعة والتفكر إلى الإنسان وبذلك تبدلت من المفاهيم الكلية (التأملية) الثابتة إلى الإحساسات المتغيرة وقد أدى ذلك إلى التجاءهم إلى **النسبية** فأصبح

الإنسان مقياسا للأمور جميعا حيث يقود ذلك إلى القول بأن المعرفة ليست ذات أهمية والمهم هو الـــرأي الـــذي يعتقد بأنه مفيد .

أن منهج التفكر يأخذ منحى المعرفة العقلية واستنباط المعاني الكلية فهو البحث عن شيء وراء المعرفة وهـــي الماهيات وذلك غاية هذا المنهج (النقيب، ص 72) . وهذا يرى بأن المعرفة لا يمكن أن تقوم علـــى أســـاس صحيح إلا أذا كانت قد درست من قبل طرق الوصول الى المعرفة فالمعرفة هي الوصول الى ماهيات الأشـــياء وهي المعرفة من خلال المفاهيم الكلية وهو تكوين صورة ذهنية وليست حسية . أن الماهية التي تمثل في الفلسفة العربية الإسلامية (التعريف) تنطلق من أمثلة خاصة للوصول إلى تعريف كلي والوصول الى المفاهيم المطلقة العامة لهذا فأن هذا الاستقلال عن اللذات والممتلكات الأرضية هو هدف وغاية الحياة فالعلم يقوم علـــى فكـــرة الكليات بينما السّير والسلوك وكل ما يتعلق بالمفردات والأفراد حالات جزئية ، لهذا أنكرت العولمـــة الأســـماء الكلية لأنه لا يوجد في الواقع إلا الجزئيات التي لها الوجود الحقيقي لذا فأن التصور البسيط في الفلسفة الطبيعية وحده الذي يستطيع أن يكون ملائما للتعبير المنطقي عن شيء ، فاستعمال محمـــولات متعـــددة لشـــيء واحـــد كالمسميات التي يستخدمها فكر العولمة يدمر الوحدة المجردة للتصور ويمنع التفكر فتنفى بذلك التعريفات وبنـــاء على ذلك يكون التعبير المنطقي عنها هو على وجه الدقة تسمية وليست تعريف وهو بهذا المعنى يكون التصور (التفكر) هو ما يعبر عن الماهية الداخلية للأشياء لذلك يتضح أنه لا يمكن تسمية شيء من الأشياء إلا بالكلمـــة التي تطابقه ولا يمكن نقل الكلمة إلى شيء آخر (النقيب ص 79) . بينما ترى العولمة بأن كل واقعـــي هـــو فردي والفردي لا محدود وللموضوعات المختلفة انطباعات مختلفة لذلك يكون الإثبات والنفي في جميع الحالات صادقين بدرجة متساوية لذلك فأن العولمة تلتزم نظرية المعرفة المبنية على الاســـمية وليســـت الماهيـــة أي أن الأشياء الفردية هي وحدها التي توجد أما التصورات الكلية فهي ليست سوى أسماء من وجهة نظرها .

ومما تقدم فأن العولمة تعتمد الأسميات كجزئيات والاستقراء في الوصول إلى العام من الخاص وتكون قياساتها هي **الإحساسات المتغيرة** (المبنية على اللذات وصناعة الإنسان) لتكون صورتها معبرة عن ما تقدم وتنحصر صورها المرتبطة بالإحساس والاستشعار بالصورة الشعرية وهذا ما يختلف عنه مبدأ التفكر في الثقافة العربية الإسلامية (التأمل العقلي) ، فهو يعبر عن الماهيات التي تمثل التعريفات للوصول إلى مفاهيم كلية والتي تستند

قياساتها إلى الملاحظة الطبيعية لذاتها (اليقينيات) لتكون صورتها تمثل الصورة البرهانية (2)[2] وبذلك يظهر الفرق واضحا بين ما يتوافق مع فكر العولمة من قياس معتمد الإحساسات المتغيرة وبين ما لا يتوافق معه من قياس يعتمد الوحدة .

ومن ذلك فان العولمة بصيغتها الحالية المرتبطة الى حد كبير بالنمط الاقتصادي والاجتماعي تدخل على العمارة من خلال وسائل التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات الحديثة مما يترتب على تحويل العمارة الى سلعة تجارية تحكمها عوامل الاستثمار وتأثيرات الإعلان التجاري والإعلام المبهر.

1.2. **صورة العولمة**

إن الحقيقة تقع بين ثنائية التصديق أو عدم التصديق ، فإن كانت تلك الحقيقة بعيدة عن التصديق فهذا يعني بأن صورة تلك الحقيقة اعتمدت مادة قياس تمثلت من خلال تلك المادة حالة عدم التصديق وبطبيعة الحال فأن مادة القياس تكون من المخيلات حيث تعتمد التمثيل الذي أساسه التصوير والتمثيل لما يراد به من التعبير عن الغاية ولكن هذا التعبير يكون معتمدا على القياس التمثيلي والذي ينتقل فيه الذهن من حكم أحد الشيئين إلى الحكم على الآخر لعلة مشتركة بينهما حيث تقوم الذات بقياس هذه العلة بعقلها فيكون القياس مبنياً على التأويل والتصوير الذاتي **والفرق كبير بين مشاهدة الشئ في واقعه كتصديق وبين مشاهدة تمثيله بالصورة أو بمحاكاته بشيء آخر يمثله فالتصوير والتمثيل يثير في النفس التعجب والتخيل فتتلذذ به وترتاح له** وكلما كان التصوير دقيقا معبرا" كان أبلغ أثراً في النفس وهو ما يعرف بالصورة الشعرية (المظفر: ص 431) . لذا اعتمدت الصور الشعرية على أثارة الغرائز التي تمنح النفس التلذذ الذي ترتاح إليه فتحرك المشاهدة **غريزة الاستطلاع** عن كل ما هو غريب وجديد فتثير التعجب والانبهار فيحصل التلذذ ليحرك ذلك **(غريزة محاكاة النظير)** فتقدم النفس على أجراء ذات الأمور التي ترتبط بالمشاهدات كلا أو جزءا لحاجتها لمحاكاة ما تتلذذ له وترتاح إليه (الغمراوي ص183 ،214) . وهنا لابد من الإشارة أن الغريزة قوة فطرية تصدر عنها أفعال قهرية لغاية محددة. والعقل **ملكة كسبية** تتولى ضبط الأفعال ضبطا إراديا بتدبير خاص لغرض مقصود، وباختلاف **وسائل الكسب** تتفاضل عقول الأشخاص فتتنوع الغايات الناجمة عنها أما الغرائز فكل نوع منها يجري على منوال واحد قلما أدركت فيها تفاوتا لذا فأن أعمال العقل متخالفة وأعمال الغريزة متشابهة. فالغريزة والعقل عند الإنسان

[2] (2) وهي قضايا يصدق بها العقل والتي تكون قياساتها معها من اليقينيات أي أن العقل لا يصدق بها بمجرد التصور فهي معلومة السببية ومعلومة الماهية والتي أساسها البرهان لما يراد به التعبير عن المعنى . (المظفر ص 321) .

قوتان منفصلتان وهذا ما يجعل ارتباط الصورة الشعرية بالغرائز الذي يعتمد في مبادئ المطالب للوصول الى المقاصد على المخيلات . أما الصورة البرهانية فأنها مرتبطة بالعقل الذي يعتمد في مبادئ المطالب للوصـــول الى المقاصد على اليقينيات (الغمراوي ص11) .

1.3. **أسلوب العولمة**

أن العولمة اعتمدت التصميم التعليمي INSTRUCTIONAL DESIGN أسلوبا يتم من خلاله مد الثقافة وتعتمد فكرتـــه ومنهجه على تغذية عقلية الفرد بشكل غير مباشر بأفكار و نزعات فلسفية دون أن يشعر ذلك الفرد بشكل مباشر بامتـــداد تلك الأفكار في عقليته وذلك من خلال **أسلوب صوري** تحمل علاقات بين عناصرها تعكس فيها طبيعة مفردات ذلك الفكر وبعبارة أخرى فأن التصميم التعليمي يعتمد **المعادلة بين الفكر والصورة فالفكر ينتج صورة والصورة تعكس فكراً** (عبد القادر ص 169) . أي إن أصول أي منهج فكري تتكون صوره مع مرور الزمن مع مراعاة عـــدم الاكتفـــاء باســـتقبال الصورة بل معرفة قراءتها للوصول إلى أصول الموجود خلفها في ذهن المتلقي، بينما يكون الاستمرار في التأثر بأفكـــار معينة من خلال صور يتأثر بها المتلقي لتّولد لديه أفكار تعكس غايات تلك الصور وبالتالي فان ما تحمله الصورة يعكـــس تماماً طبيعة وطريقة التفكير في إنتاج هذه الصور. إن هذا يشير إلى تلقي في عملية(إبداعية)متباينة الأركان ومختلفة فـــي مستويات علاقاتها مع النتاج لإنتاج صورة معينة.

ما تقدم يعني بأن أصول أي **منهج فكري** تكون **صـــوره** مـــع مـــرور الـــزمن بمثابـــة أداة فـــي زرع تلـــك الأصول في ذهن المتلقي ، ولتوضيح ذلك ، فـــإن الدراســـات أظهـــرت بـــأن الأطفـــال (وهـــم لا يمتلكـــون أصول فكرية محددة كونها لا تزال قيد التبلور) الـــذين داومـــوا علـــى مشـــاهدة أشـــرطة رســـوم متحركـــة تتعلق بشخصيات (والت ديزني) تطّبعوا بأفكار تختلف عن الأطفال الـــذين داومـــوا علـــى مشـــاهدة أشـــرطة رسوم متحركة تتعلق بشخصيات الفضاء والإنسان الآلي ذو القـــوة المطلقـــة ، فالمجموعـــة الأولـــى تميـــزوا بالقدرة على التحسس والخيال في سلوكهم وتصـــرفاتهم بينمـــا المجموعـــة الثانيـــة تميـــزوا بحـــب الســـيطرة والهيمنة حيث يفضل كل واحد من تلـــك المجموعـــة أن يكـــون الأول بـــين زملائـــه مـــن خـــلال ســـيطرته وهيمنته عليهم .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفكرة في الصورة الأولى أو الثانية في الرسوم المتحركة لم تعطى بشكل مباشر إلى مجاميع الأطفال المشاهدين وإنما بشكل غير مباشر عن طريق إنتاج صور يمكن من خلال الاستمتاع بها ، **وهي الغاية الغير أساسية** ، أن يتأثر المتلقي بها ومع مرور الزمن تتولد لديه أفكار تعكس غايات تلك الصور التي داوم على مشاهدتها والتأثر بها .

عليه فإن ما تحمله الصورة يعكس تماماً طبيعة وطريقة التفكير في إنتاج هذه الصورة والمداومة على التفاعل مع صورة بأشكال معينة تعكس فكراً محدداً سيؤدي إلى **التطبع بمفردات ذلك الفكر** ، لذا فأن العولمة كتوجه تعمل أن تكون مؤثرة حيث يكون لصورها تأثير في تعليم وتطبع المتلقي لطبيعة أصولها الفكرية المكونة لهذه الصور وعبر الفترات الزمنية ومن خلال وسائل الإيصال التكنولوجية المختلفة للهيمنة على حقل الثقافة ، ما تقدم يعني بأن تبني فكر الثقافة العربية المرتبط بأصول حضارتنا سينتج صورة لعمارة لها هوية محددة من خلال إدراك خصائص العلاقة بين عناصر الفكر كمطلوب يرتبط وحضارتنا دون آثار فكرية أخرى كفكر العولمة التي قد ترتبط بها العمارة والتي تكون بعيدة عن طبيعة الفكر الذي يمثل مجتمعنا وبيئتنا الفكرية والاجتماعية .

2. تحليل انعكاسات العولمة

2.1. انعكاسات العولمة في خصائص الصورة

إن النظام يعبر عن حدث ، وما له علاقة بالإنسان حيث أنه يجسد العلاقة بين الإنسان (الذات) والموضوع ليتشكل الحدث . والحدث لا بد له من إحداث له قواعد تمثل نظاماً تحتكم إليه العلاقة بين الذات والموضوع ليمثل ذلك النظام قواعد الإحداث للحدث المعبر عن تلك العلاقة . يتضح من خلال ذلك بوجوب وجود قاعدة محددة تحتكم إليها الذات في علاقتها مع الموضوع أساس هذه القاعدة هو القوانين التي تحكم علاقة الذات بالموضوع ، وأن الحدث لا بد أن يكون له علة في حدوثه وهذا يعني بأن الإحداث (3) [3] بقواعده يمثل علل نشوء ذلك الحدث .

[3] (3) إن الإحداث ترتبط قواعده بنظرية العلل ، وإن العلل تتميز بخاصية التلازم مع بعضها، فالعلة الغائية هي ما يحدث لأجله الشيء والتي تتولد على أساسها العلة الفاعلة التي تبتدئ كمحرك بتصوير المادة لتمثل العلة المادية التي هي مجمل علاقات الصورة التي تظهر كعلة صورية ، فينشأ الحدث الذي تمثل صورته طبيعة النظرة التي لأجلها أنشئ الحدث .

أما ما يتعلق بالصورة فإنها في **اللغة**: هي الشكل الهندسي (مؤلف من أبعاد تتحدد بها نهايات الجسم)؛ وهي الصفة التي يكون عليها الشيء كما في قوله تعالى (إن الله خلق ادم على صورته)، وهي النوع يقال (هذا الأمر على ثلاث صور أي ثلاث أنواع ويقال صورة الإنتاج أو أنواع الإنتاج،والصورة المخصوصة، صورة المسالة، صورة العقد وهي بهذا المعنى علة صورية تعني طريقة ترتيب العلاقات في محلها لتؤلف الشيء، ولها في عُرف العلماء عدة معاني. أما في **الفلسفة** فتكون الصورة مقابلة للمادة وهي ما يتميز به الشيء مطلقاً فإذا كان في الخارج كانت صورته خارجية وإذا كانت في الداخل كانت صورته ذهنية(صليبيا، 1982،ص 741).

عليه فأن النظام ما هو إلا إحداث للحدث وإظهار ما كان مخفيا من خلال كشفه ، حيث يرتبط الإحداث بالإمكان (جودت: ص87) لذا فأن نظام أي ظاهرة من الظواهر الإنسانية عمارة كانت أو موسيقى أو رسم أو غيرها تكون طبيعة التداخل بين خصائص التلازم والتقابل فيه كما يلي :

أن العلاقة بين الذات والموضوع تتشكل على مستوى نظرية المعرفة في النظام الكامن والنظام الظاهر ، وبذلك فإن مفردات مفهوم العلاقة بين الذات والموضوع تتصف بخاصية التلازم التي تمثل قاعدة نظام الإحداث التي تمثلها مفردات العلاقة بين الذات والموضوع في نظرية المعرفة ، لذا فإن الوجود الفلسفي يحدد طبيعة الجزئي والكلي ، ومن خلال الجزئي والكلي يستدل على مادة القياس (المبادئ) ، والأخيرة بعلاقاتها تظهر صورة القياس التي تعكس طبيعة ذلك الوجود الفلسفي وعليه تتصف مفردات النظام الكامن ضمن مفهوم النظام بخاصية التلازم ، أما خاصية التقابل بين النظام الكامن والنظام الظاهر فتكون من خلال مفهوم الوجود بالقوة والوجود بالفعل ، ذلك أن مفردات هذا المفهوم تمثل الإمكان حيث ينتقل الحال في النظام الكامن ليتمثل في نظام ظاهر من خلال مادة وموضوع الظاهرة ليعكس نفسه كحدث فيحصل التقابل والتلازم بين أركان النظام الكامن والنظام الظاهر وبالتالي يعكس النظام الظاهر فكر وغائية العلاقة بين الذات والموضوع كنظام كامن محدث للحدث وكما موضح في الشكل (عبد القادر ص 60) .

ومن مراجعة فكر وصورة العولمة وتطبيقا" لما تقدم فأن العولمة كنظام كامن يمثلها الوجود الفلسفي المتمثل بالواقعية المادية والتي تعتمد الأسميات كجزئيات دون المفاهيم الكلية وتلك المفاهيم الجزئية ترتبط بالاستقراء

لتكون مادة قياسها المخيلات منتجة الصورة الشعرية . ووفق خاصية التقابل فأن بنية النظام الكامن للعولمة المتمثل بالصورة الشعرية سينعكس في النظام الظاهر للعمارة فالوجود الفلسفي سيناظره طريقة التفكير المعتمدة على استنباط صيغ صورية جاهزة مولدة مفهوم محاكاة النظير كمنهج ينعكس في صورة ومادة العمارة لينتج صور معمارية أسسها معتمدة في الارتكاز على عناصر مواضيع المشروع المراد تصميمه لتحقيق خصائص شكلية تقابل صورها الشعرية في النظام الكامن وتحمل سمات صورية معتمدة على محاكاة عنصر الموضوع المراد تصويره بما يبعث التلذذ والغرابة وما العالم الافتراضي (VIRTUAL REALITY) وتطبيقاته الحالية في العمارة إلا نموذجا" من انعكاسات العولمة كنظام كامن في نظام العمارة الظاهر، ان بناء الصورة يعتمد على التركيز على أسلوب المحاكاة والتخيل في إخراج الصورة المعمارية وعلاقتها المباشرة بالمتلقي. إن الخيال هو الملكة التي يؤلف بها المصمم صوره فهي قوة تحفظ الصور المرتسمة في الحس المشترك إذا غابت تلك الصور عن الحواس الباطنة، وهو ليس منفصلاً عن الفكر ولكنه الفكر نفسه في عملية تلقائية (لا شعورية)، ولولا الخيال لصارت العمارة نقلاً لمواقع ومحاكاة ليس فيها تفنن أو إبداع بالإضافة إلى إن الطبيعة أو ما يحيط بالمصمم مادة مهمة لا يُستغنى عنها مهما كان التصميم.

2.2. انعكاسات العولمة في مفهومي المكان والزمان

تجدر الإشارة إلى أن التغير من نظام إلى آخر يحصل في حالة تغير النظام الكامن ، حيث أن النظام الكامن يمثل فكر تحكمه النظرة إلى الحقيقة كأساس في تغيره عن غيره ، فمع تغير طبيعة الفكر الفلسفي ونظرته إلى مفهوم الحقيقة تتغير وتتبدل معه كل المراحل اللاحقة المرتبطة به فينتج عن ذلك صورة مغايرة بصيغة نظم ظاهرة لتظهر عندئذ صور جديدة أخرى تختلف عن مثيلاتها من الصور التي تحكمها أفكار مختلفة في نظرتها .

النظـــــــام				
قواعد الإحداث	النظام الكامن (الذات والموضوع)	من خلال التفاعل مع الوجود بالقوة والوجود بالفعل	النظام الظاهر	قواعد الإمكان
الغائية	الوجود الفلسفي		الأسس النظرية للحركة ضمن ظاهرة محدودة	طريقة التفكير
الفاعلة	الجزئي والكلي		مفاهيمها	المفاهيم

المادية	مادة القياس
الصورية	صورة القياس

المادة	مادتها
شكل	تطبيقاتها

قاعدة التلازم والتقابل

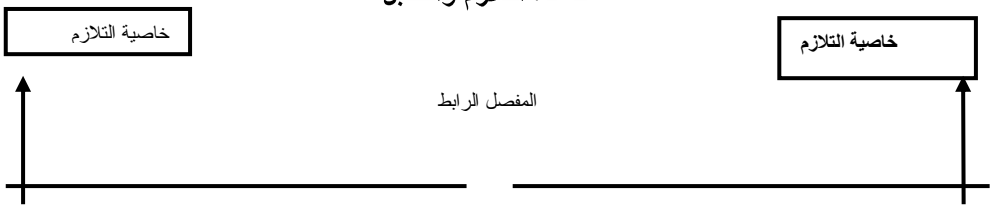

(عبد القادر ص 96)

وأن المكان بصيغه الشكلية يمثل نظاما ظاهرا يعكس حال النظام الكامن فالمكان كنظام يمثله الشكلن في النظـــام الظاهر يعكس المحل في نظامه الكامن وأن كلا" من الشكل والمحل يعكسان طبيعة الحال على مســـتوى النظـــام الكامن وطريقة التفكير ومفاهيمه على مستوى النظام الظاهر (عبد القادر ص 157) . والشكل صـــفة تجريديـــة للشيء وليس الشيء بذاته تدركه بالفعل عن طريق الحواس وهذا يعني اتصاف الشكل بالشمول في صورة مدركة إن الحال يتكون وفق خاصية التلازم ويعكس نفسه في محل وليكوّن كل من الحال والمحل النظام الكامن ولما كان ذلك كامنا فأن الإحساس به يكون من خلال نظم ظاهرة تمثلها الظواهر المختلفة منها العمارة كنظام ظـــاهر يـــتم الإحساس به والتفاعل معه في زمان ومكان محددين . أما الزمان بذاته فأنه يمثل الليل والنهار وهو قياس الـــزمن اليومي والذي يطول أو يقصر الإحساس به قياسا" لحجم الأداء فيه ومن دوران القمر حول الأرض يكون قيـــاس الزمن الشهري ولكن أياً من الليل والنهار ودوران القمر حول الأرض لم يتبدل عبر العصور وإنما الذي يتبدل هو الزمن بدلالته الذي يعبر عن طبيعة الحال المتمثل بعلاقة الذات بالموضوع عبر فترات الليل والنهار ودوران القمر حول الأرض فيبدو حينها وكأن الزمان قد تبدل ، لهذا فأن الحال صار يمثل الزمان بدلالته وليس بذاته والمحـــل يمثل المكان بدلالته وليس بذاته . أن شكل العولمة بمظهرها الحالي يعكس التقدم الكبير الذي بلغته صيرورة توحيد العالم فبفضل ثورة الاتصالات تغيرت حيلة الإنسان بالمكان بذاته بصورة جوهرية وبات العـــالم يفـــرض نفســـه كوحدة تحليل رئيسة لفهم وأدراك الأحداث . كما طرأ تحول جذري على مفهوم الزمن بذاته الذي لم يصبح عالميا فحسب بل أصبح قصيرا جدا يمحو المسافات والحدود الجغرافية من خلال هيمنة الصورة وضعف قيمـــة الكلمـــة نتيجة تأخرها عن مواكبة الحدث (الشريف ص4) .

أما انعكاسات العولمة في المكان بدلالته فأنه يتركز في أن الخصائص الشكلية الممثلة لصيغة المكان كمحل ستعتمد التكرار والتوحيد في علاقاتها حتى بغض النظر عن الخصائص الطبيعية لذلك المكان لينعدم مفهوم التمايز والاختلاف إلى الحد الذي تكون فيه صور المكان منمطة باختلاف بقاع العالم فلا تحديد ولا هوية يمكن أن يتعايش مع هذا التنميط . أما انعكاسات العولمة في الزمان بدلالته فأنه يتركز في أن طبيعة الأصول الفكرية كحال ستعتمد الاستقراء من الخاص إلى التعميم ليحل حال التابعية المعتمد على فهم الصورة بجزئياتها لتحديد النمط المراد ولتتحول دلالة الزمان الى زمان حضارة الصورة بأبعادها المجسمة والمؤثرة في تصوير ومحاكاة الموضوع (النظير) المراد به تتبع نمطه وأصوله .

مثال عن انعكاسات العولمة في المحاور الأساسية للتصميم حدد (Gelernter) بان التصميم المعماري يهدف الى إنتاج شكل معماري بعدة مستويات وأهمها:

اعتماد إنتاج الشكل المعماري على ظروف المشروع ، من خلال التعبير الشكلي حيث يتكون الشكل نتيجة لمتطلبات فيزياوية واجتماعية ونفسية تبعا للمتطلبات الوظيفية.

يتولد فينتج الشكل المعماري أصلا مكن مصادر داخلية عند المصمم (او متعلقة بشخصيته) أو من حدسه الشخصي.

وجود أشكال كونية معينة كامنة في أي عمارة بغض النظر عن الظروف المكانية أو الزمانية المحيطة بها لتعطي النتاج المستقل.(Gelernter,p.3) .

ومن ذلك فان أن التصميم المعماري له محاور أساسية (BASICS) يتعامل معها ، ويمكن تحييد تلك المحـــاور ولكن لا يمكن إلغاء وجودها والمحاور المشار إليها تتمثل بما يلي:

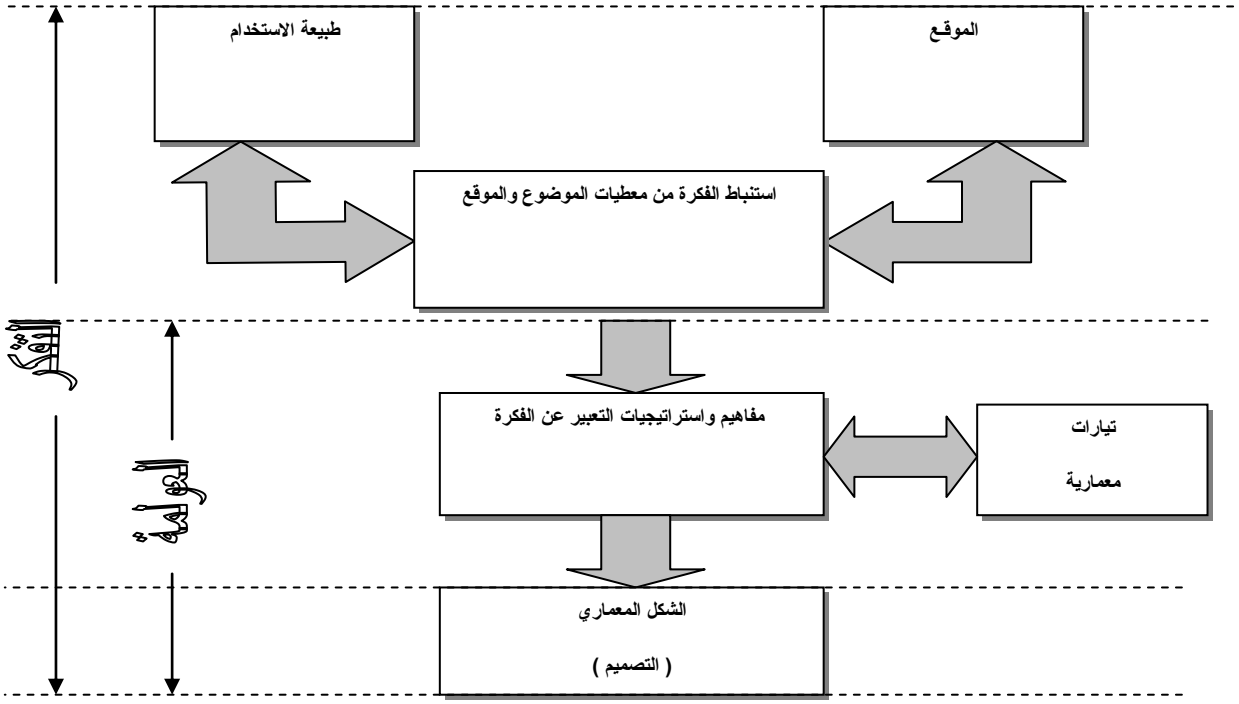

- الموقع
- طبيعة الاستخدام
- الخصائص الشكلية

حيث لا يمكن أن يصمم مبنى واقعي بدون تحديد موقع له (أي في الفراغ) أو بدون تحديد طبيعة استخدامه كما أن لابد لأي تصميم من خصائص شكلية ترتبط ومفاهيم أو استراتيجيات فكر محدد له مفاهيمه ومنهجه ، فالعولمة مثلا" تختلف عن التفكيكية حيث أن

العولمة تمثل فكرا له منهجيته الشعرية والتفكيكية تمثل منهجا جدليا"يعتمد النسبية التطورية فكرا" لها(44) .

[4] (4) أن التفكيكية منهج أساسه الفكري النسبية التطورية وهي كمنهج تعتمد التحليل والتركيب للوصول الى صيغة وخصائص شكلية مغايرة لذا فأن عناصر موضوع محدد تحلل ثم يعاد صياغة جديدة لنفس الموضوع ولكن بحالة مغايرة ولهذا فهو منهج ولّود (GENERATIVE) متجدد بصيغه المختلفة . بينما العولمة تمثل فكرا" منهجه لا يعتمد التحليل والتركيب وإنما يعتمد صيغ جاهزة يمكن تطبيقها في كل مكان أو زمان وفي أي موضوع من خلال التركيز على عناصر ذلك الموضوع

وكلاهما يختلف في التصميم على مستوى التفكر والتأمل العقلي الذي ينطلق في منهجه من البحث عن التعريفات التي تمثلها العلل الأولى لنشوء الأشياء أو ما يعكس ماهياتها ويمكن مراجعة المخطط أعلاه والمثال التالي لبدائل تصميم محطة استراحة لتوضيح ما تقدم .

المشـــــــــروع : محطة استراحة على طريق صحراوي .

الموقــع ومعطياته : أن الموقع أرض صحراوية لا يمتلك مصادر للمياه ولا يمكن فيه الزراعة والتشجير ويتعرض باستمرار الى الرياح الصحراوية الشديدة الحرارة والمحملة بدقائق الغبار صيفا والشديدة البرودة شتاء .

طبيــعة الاستخدام : محلات جلوس لتناول الوجبات الخفيفة مع استراحة وتوفير المنظر والخدمة .

لقد تم طرح فكرة المشروع في توجهين : الأول يعتمد فكرة حلّ المشروع من خلال بناء المشروع تحت الأرض مستغلا" الموارد المائية للآبار وإمكانية التشجير في طبقات التربة تحت الأرض على مستوى أكثر من (3 أمتار) وبالتالي الحماية في منطقة ظل الرياح من الرياح المحملة بدقائق الغبار وهذا ما يساعد على أمكانية توفير مناظر مشجرة بدلا" من الامتداد البصري الخالي واللامحدود ويراعى استحداث عنصر تصميمي يكون عنصر دلالة لغياب الدلالة والتعريف بعد بناء المشروع تحت الأرض وهنا يلاحظ بأن استنباط الفكرة أعتمد العلل الأولى وماهياتها للوصول إلى حل يلائم طبيعة تلك العلل ويراعى أبراز الخصائص الشكلية للفكرة من خلال تبني أحدى التوجهات المعمارية وبما يلائم ماهية الفكرة . أما التوجه الثاني فأنه يعتمد فكرة حلّ المشروع من خلال محاكاة النظير والتركيز على توفير بيئة مغلقة معزولة تماما عن الخارج تناظر صالات الجلوس والاستراحة في داخلها من خلال بانوراما تصوّر تصويرا" دقيقا" ما يناظر الواحات الخضراء وبما يثير في النفس العجب والانبهار مستعينة بما يمكن أن تقدمه التكنولوجيا الحديثة في ذلك .

فيحولها الى مسميات تكون صيغها وعناصرها تمثل آليات معتمدة بغض النظر عن ماهيات أو تعريفات تلك المسميات . مثال : التفكيكية تتعامل مع الموقع كمفهوم كلي ضمن سياقات التحليل والتركيب بينما العولمة لا تتعامل مع مثل هذه المسميات أو المفاهيم الكلية بل تتجاوزها والتفكيكية تتناول الموضوع ضمن سياقات التحليل والتركيب معتمدة مفهوم الإزاحة بينما لا تتعامل العولمة مع الموضوع بماهياته وإنما بما يمكن أن يكون غريبا" متلذذا" به من خلال استشعار عناصر محددة فيه والتركيز عليها لتكون للتفكيكية بما تقدم صورة جدلية مبادئها المسلمات (المفاهيم الكلية) ولتكون للعولمة صورة شعرية مبادئها المخيلات (مسميات عناصر محددة في المفاهيم الكلية) وما مفهوم الخصخصة في مجال الاقتصاد الناتج عن تيار العولمة إلا أحد تلك الأمثلة .

يلاحظ مما تقدم أن التوجه الأول أعتمد استنباط الفكرة من خـــلال التعامـــل مـــع المعطيـــات البيئيـــة للموقـــع آخذا" بنظر الاعتبار خصائص المكـــان وعللـــه فـــي CONCEPT CLIMATE AS A MODIFIER OF التوصل إلى ما يلائم ماهية تلك الخصائص في الوقت الذي أعتمد التوجه الثاني على اســـتبدال تلـــك الماهيـــات بمسميات تعتمد على إيحاءات التصور وليس إيحاءات العلل والتأملات العقلية في الوصول إلى المقاصد (PICTURESQUE AS A MODIFIER OF CONCEPT) . يلاحظ من ما تقدم أن منهجية العولمـــة في تعاملها مع المحاور الأساسية للتصميم تختلف عن مناهجها على مستوى التفكيكية ومنهجية مستوى التفكر حيث يظهر ذلك واضحا" في المفاهيم المعتمدة في كل منها وانه لا يوجد لحد الآن مفاهيم واضـــحة ومحـــددة لمنهجيـــة العولمة في تطبيقاتها على العمارة مثلما هو موجود في مجالات أخرى كمفهوم الخصخصة في المجال الاقتصادي لذا ولتوضيح الاختلاف عن مفاهيم المنهجيات التصميمية الأخرى تم اعتماد مفهوم محاكاة النظير بعد استخلاصـــه من تحليل فكر وصورة العولمة للتمييز عن المفاهيم الأخرى وتحديد انعكاساتها في العمارة موضوع البحث .

3. الاستنتاج:

أن فعل العولمة في العمارة العربية على المنظور المستقبلي يعني تبدل في الخصائص الشكلية للعمارة العربية من صورها البرهانية ومنهجها في البحث عن علل النشوء الأولى الى صورها الشعرية ومنهجها في محاكاة النظيـــر فأن العمارة أضحت مجالا مضافا" إلى المجالات التي تتغلغل فيها العولمة لتحيلها إلى أداة تحدث تغييرا" يمتد إلـــى الفكر المعماري من خلال المداومة على منهجها وخصائصها الشكلية . وما ستحدثه من التغيير مستقبلا"ســـيتركز في مستوى توجه المعمار العربي في تبديل الأسس الفكرية من حالة التفكر في اســـتنباطها الحلـــول المرتبطـــة بمناهجها إلى المشاهدة والتابعية في استخدام الحلول التي تبتعد مناهجها فيه عن بنية الصورة المعمارية في ضوء نظرية المعرفة الإسلامية .

5-1-1 المصادر

- القرآن الكريم
- المظفر ، محمد رضا ، "المنطق" ، مطبعة النعمان ، العراق ، 1973.
- عبد القادر ، رافد ، "المكان كنظام" ، أطروحة دكتوراه ، قسم الهندسة المعمارية ، الجامعة التكنولوجية ، بغداد ، 1998.
- صليبيا،د.جميل:" المعجم الفلسفي ":،الجزء الأول، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت،1982.
- الشريف ، ماهر ، "ماذا يعني الاستقلال الثقافي في زمن العولمة "، مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية ، بيروت ، 1998.
- الغمراوي ، محمد حسنين ، "الغرائز وعلاقتها بالتربية" ، مطبعة أمين هندية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، 1995 .
- النقيب، حسين علي ناصر ، "الجزئي والكلي بين افلاطون وارسطو"، أطروحة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1995.
- جودت ، أحمد عبدالجبار ، "بنية الصورة المعمارية في ضوء نظرية المعرفة الاسلامية" ، اطروحة ماجستير ، كلية الهندسة ، بغداد ، 1995.
- روزنتال ، يودين ، "الموسوعة الفلسفية" ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980.
- النراقي ، محمد مهدي ، " جامع السعادات " ، الطبعة الرابعة ، منشورات دار النعمان ، النجف ، العراق ، 1967 .

of Architectural form:A critical history of western design theory Gelernter,Mark:"Source ", Manchester Univ.Press: Manchester ,N.Y.,P.3,1995.